المجلة التاريخية الجزائرية | المجلد:3،العدد: 02، ديسمبر2019 .العدد التسلسلي:12.ص256-264
Issn:2572-0023 | Volume: 3-N: 02, December 2019- S/ N 12. p256-264

صدى اغتيال عيسات ايدير في جريدة "الطليعة" المغربية

The echo of the assassination of Aissat Idir in the Moroccan newspaper "Al Taliaa"

أ.د/ لونيسي إبراهيم * Pr/ Brahim Lounici
جامعة سيدي بلعباس–university of sidi bel abbes
Iounicib@yahoo.fr

معلومات المقال/History of the article		
الإرسال/Received	المراجعة/Accepted	القبول للنشر/Published
2019/07/18	2019/09/22	2019/12/30

الملخص:

كان للثورة الجزائرية أصداء واسعة في مختلف الصحف العالمية التي كتبت كثيرا عن أحداثها، خاصة الصحافة العربية، ومنها جريدة (الطليعة) المغربية التي تناولت العديد من أحداثها، ومنها حادثة اغتيال الزعيم النقابي عيسات ايدير (1919–1959). وتسعى هذه الدراسة إلى استعراض وتحليل ما كتبته جريدة الطليعة عن حادثة الاغتيال التي تعد جريمة كاملة الأوصاف، وبالتالي الإجابة على السؤال: كيف كان صدى اغتيال عيسات ايدير على صفحات جريدة (الطليعة) المغربية.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية، جريدة (الطليعة)، عيسات ايدير، اغتيال، السلطات الاستعمارية.

Summary :

The Algerian revolution was universally echoed by its events and its grandeur in various media, notably in the international and Arab press, particularly the Moroccan newspaper "Al Taliaa" which was interested in several events of the revolution, such as the assassination of the great trade unionist Aissat Idir (1919-1959). This analytical study on what was published in the newspaper on the assassination of this great man, this incident considered a perfect war crime and from there, answer the following question: how was the echo of the assassination in through the pages of the newspaper "Al Taliaa

* المؤلف المرسل: أ.د/ لونيسي إبراهيم، الإيميل: Iounicib@yahoo.fr

Key words: Algerian Revolution, Al Taliaa newspaper, Aissat Idir, Assassination, Colonial authorities.

مقدمة

تعد الصحف والجرائد أحد المصادر المهمة جدا في كتابة الأحداث التاريخية المختلفة، ومنها الثورة الجزائرية بفعل الأصداء الواسعة التي سجلتها أحداث هذه الثورة، وتطوراتها المختلفة في جل الصحف والجرائد العالمية عموما، والعربية خصوصا، والتي كانت تصدر خلال الفترة (1954 – 1962)، ومن بين هذه الجرائد جريدة (الطليعة) المغربية التي كانت تتبع أحداث هذه الثورة أولا بأول، ونحن في هذه الدراسة سنتناول أصداء أحد هذه الأحداث على صفحات هذه الجريدة، وهي حادثة اغتيال الزعيم النقابي عيسات ايدير، أول أمين عام للاتحاد العام للعمال الجزائريين، واحد أبرز مؤسسيه، فكيف عالجت الجريدة هذه الحادثة؟

1- التعريف بالجريدة

إن هذه الجريدة هي لسان حال الاتحاد المغربي للشغل U.M.T الذي تأسس رسميا يوم 20 مارس 1955، والذي ضم بداخله كل القطاعات العمالية المغربية بما فيهم الرعاة وماسحي الأحذية، وبعد مرور بضعة أشهر من ظهور هذا الاتحاد أنشأ لنفسه جريدة ناطقة باسمه وهي جريدة (الطليعة).

أولت هذه الجريدة أهمية خاصة لأحداث الثورة الجزائرية، حيث كانت تتبع أحداثها وتطوراتها بشكل كبير، حيث كانت تخصص لها من حين لآخر صفحات كاملة، مثل ما فعلته عند تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958، حيث أسهبت في الحديث عن ذلك، كما قامت أيضا في عددها الصادر يوم 12 جوان 1959 بنشر مقالين مطولين عن أحداث الثورة الجزائرية الأول بعنوان: "دوغول ... الرجل المتناقض أو مغامرات فاشيستي ناشئ" وكان المقال مرفوقا برسم كاريكاتوري للجنرال دوغول يرفع فيه رجله في الهواء مصافحا وهو يقول "أنا مستعد للمصافحة لكن ما نقدرش نمد يدي لأنها مشغولة بزاف"، وكأن الجريدة تريد أن تقول من خلال هذا الرسم أن يدي الجنرال مشغولة بتقتيل وتعذيب الجزائريين، خاصة وأننا نعرف أن سنوات حكم الجنرال دوغول كانت من أسوء السنوات من حيث ممارسة

البطش والتعذيب والتنكيل بالجزائريين، والمقال الثاني كان بعنوان "مساعدة الشعب الجزائري تبدأ من هنا" [1].

ومن أبرز أحداث الثورة التحريرية التي تحدثت عنها جريدة (الطليعة) عملية اغتيال الزعيم النقابي عيسات ايدير، حيث أولت الجريدة لهذه العملية أهمية بالغة، خاصة وأن الشخص المغتال يعد أحد أبرز النقابيين الذين عرفتهم الثورة الجزائرية، بل والأكثر من ذلك يعد أحد أبرز المؤسسين للاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فبراير 1956، ومن هنا يمكن لنا فهم سر اهتمام الجريدة بهذه الحادثة باعتبارها جريدة نقابية تدافع عن حقوق الطبقة الشغيلة بالمغرب الأقصى، والشخص المغتال هو نقابي جزائري كان يعمل على الدفاع عن حقوق العمال الجزائريين التي كانت مهضومة من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية، كما أن هذا الاتحاد الذي كان عيسات ايدير أمينا عاما له كان يعد أحد الروافد المهمة للثورة التحريرية الجزائرية، فمن هو عيسات ايدير؟

2- من هو عيسات ايدير؟

ولد يوم 11 جوان 1919 بقرية جمعة نساريج التابعة حاليا لدائرة مقلع بولاية تيزي وزو في وسط أسرة متوسطة الحال، وكان والده حريصا على تعليمه خاصة عندما رأى فيه تلميذا مجتهدا، وبالفعل تمكن ايدير من مواصلة تعليمه داخل الجزائر إلى غاية ذهابه إلى تونس للإقامة عند عمه هناك حيث واصل تعليمه ليعود في صائفة 1939 إلى الجزائر حيث شارك في مسابقة لتوظيف محاسب رئيسي نظمتها شركة "الورشات الصناعية الجوية" بالقرب من مطار الدار البيضاء بالجزائر (العاصمة).

وبفعل احتكاكه الدائم بالعمال بدأت تظهر لديه ميولات نقابية واضحة، وذلك من خلال اهتمامه بالدفاع عن مصالح العمال وحقوقهم، حيث بدأت تراوده فكرة تأسيس حركة نقابية خاصة بالعمال الجزائريين، وهو الأمر الذي جعل قيادة الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية تعيينه على رأس (اللجنة المركزية للشؤون الاجتماعية والنقابية) في مطلع سنة 1949، وكانت مهمة هذه اللجنة معالجة المشاكل النقابية والاجتماعية للعمال الجزائريين التي كانت

النقابات الفرنسية تتجاهلهم، وكذا تنظيم تعاون العمال الجزائريين وتضامنهم أثناء الإضرابات خاصة.

وكان عيسات ايدير هو المشرف على الركن العمالي في جريدة (الجزائر الحرة) المتحدثة باسم الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية حيث كان ينشر مقالته في الكثير من الأحيان بأسماء مستعارة مثل (محند امقران) و(علي تامغوت).

وبفضل نضاله المتواصل عين سنة 1951 عضوا في اللجنة المركزية للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، وظل في هذا المنصب إلى غاية اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، حيث ألقي عليه القبض وسجن إلى غاية منتصف شهر ماي 1955، ليلتحق بالثورة بمجرد اطلاق سراحه، وأبرز عمل سيقوم به خلال ذلك مساهمته الواضحة في تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين، والذي سيكون أول أمين عام له، كما عين في مؤتمر الصومام كعضو في المجلس الوطني للثورة إلى غاية اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية في 23 ماي 1956، وهنا تبدأ رحلة المعاناة في السجون والمعتقلات الفرنسية إلى غاية اغتياله في 26 جويلية 1959 (2).

3- الجريدة تعلن عن اغتيال لم ينفذ

إن عملية اغتيال عيسات ايدير(3) كانت يوم 26 جويلية 1959، أي بعد أكثر من ثلاث سنوات قضاها داخل السجون الفرنسية دون أي وجه حق، ولكن الملفت للنظر أن جريدة (الطليعة) قد أشارت إلى خبر اغتيال هذا الزعيم قبل التاريخ الحقيقي للاغتيال بحوالي ثلاثة أسابيع، إذ أنها نشرت في عددها الصادر يوم الجمعة الفاتح يوليوز(جويلية) 1959 مقالا مطولا بعنوان "الاستعمار الفرنسي يتوج جرائمه باغتيال الأخ النقابي عيسات ايدير" نشرت جزءا منه في الصفحة الأولى، وباقي المقال في الصفحة الثانية من الجريدة حيث كتبت تقول "كنا نشك مقدما بأن النقابي الأخ عيسات ايدير لابد وأن يكون قد استشهد على يد جلادي الجمهورية الخامسة –والأخيرة–، ولقد تواترت الأنباء تؤيد صحة شكوكنا فقد توج الاستعمار جرائمه باغتيال النقابي عيسات ايدير، رغم جميع الأدلة العالمية التي برأت ساحته، إن جيش الاحتلال يغرق نفسه بمثل هذه الجرائم ليثبت مدى التعفن والانحلال الذين أحاطا به، وبالجمهورية الخامسة

التي يحاول أن يمنحها عظمة مزيفة قائمة على اللصوصية والغدر... إن عيسات ايدير هو في قلب كل عامل مغربي وقلب كل كادح في أي قطر في العالم".

وهنا من حق الدارس أن يتسأل عن السبب الذي دفع بالجريدة إلى كتابة هذا المقال المبني على معلومات غير صحيحة، لأن عيسات ايدير لم يكن قد اغتيل بعد؟ فهل يعود ذلك إلى رغبة الجريدة في إثارة القضية، وتحريكها على مستوى الرأي العام المحلي والدولي، خاصة مع ذلك الغموض الذي كان يكتنف مصيره بعد أن أصدرت احدى المحاكم العسكرية الفرنسية في 13 جانفي 1959 حكما يقضي ببراءة عيسات ايدير من كل التهم الموجهة إليه، وعلى رأسها المساس بأمن الدولة؟ إن الإجابة على هذا السؤال صعبة جدا.

4- الجريدة تحذر: "حياة عيسات ايدير في خطر"

إن ما يهمنا في كل هذا أن الجريدة عادة بعد حوالي أسبوعين من نشرها لذلك الخبر، إلى الحديث عن قضية عيسات ايدير حيث كتبت مقالا مطولا بعنوان "الاستعمار الفرنسي يتكالب على القادة النقابيين في الجزائر – أحد المسيرين النقابيين مهدد بالموت" [4]، حيث استعرضت فيه تطورات قضية عيسات ايدير منذ إلقاء القبض عليه في 23 ماي 1956 "بسبب نشاطه النقابي، وأدخل محتشد البرواقية ... ثم أفلو ثم بوسوي" [5]. وهذا بعد أن أشارت الجريدة إلى أن عيسات ايدير هو الكاتب العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين، وأحد المؤسسين الأوائل له.

ثم ذكرت أنه بعد مرور سنة على اعتقاله بتهمة "المساس بأمن الدولة الفرنسية الخارجي"، أي في ماي 1957 نقل إلى مدينة الجزائر العاصمة ليمكث في إحدى سجونها قرابة السنة ونصف السنة ليعرض على المحكمة العسكرية التي قضت يوم 13 جانفي 1959 بتبرئته من التهم الموجهة له، و"هكذا قضى السيد عيسات ايدير ما يقرب من ثلاث سنوات محروما من حريته بواسطة تدابير تعسفية وذلك لا لأي جريمة اقترفها إلا النشاط النقابي، إن قضية السيد عيسات ايدير ليست إلا مثالا لعدة آلاف من الجزائريين الآخرين، ولعدة مئات من المسؤولين النقابيين".

وتشير الجريدة إلى أنه بدلا من إطلاق سراحه قامت السلطات الاستعمارية بنقله إلى مكان مجهول "وبقيت عائلته ومحاموه لا يعرفون عن مصيره شيئا طيلة شهرين، وبعد مجهودات متوالية ولكن بدون نتيجة قامت بها المنظمة العالمية للنقابات الحرة، للتحصيل على رخصة زيارة السيد عيسات ايدير فإن السلطات الفرنسية في عاصمة الجزائر رفضت هذا الطلب رفضا قاطعا" [6].

ويذكر محمد عباس في هذا الصدد أن المخابرات العسكرية رأت عكس ما رأته المحكمة العسكرية التي برأت عيسات ايدير، وأنه كان لها رأي آخر، ويشير إلى أن العقيد قودار يقول في هذا الصدد أنه قرأ في ملف المتهم عيسات ايدير تقريرا من عامل عمالة وهران في 21 مارس 1958 يسجل في خلاصته أن الرجل لا يمكن التأثير في قناعاته، خطير جدا معاد لفرنسا، قائد مؤثر لا ينبغي الافراج عنه أبدا، لهذا قام العقيد قودار بإعطاء أوامره للدرك باعتقاله بمجرد خروجه من المحكمة، وإعادته إلى سجن سركاجي، ثم إلى مركز التعذيب بيبراطارية في الأبيار [7].

وتشير الجريدة إلى أنه عندما أجبرت السلطات الفرنسية على أن تبرر تصرفها هذا أي منع الزيارات عن عيسات ورفض طلب مقابلته، زعمت أن السيد عيسات ايدير حاول الانتحار وأنه الآن يعالج في المستشفى". وهنا يجدر بنا القول أن السلطات الاستعمارية الفرنسية كانت تلجأ إلى هذا الأسلوب للتغطية على الكثير من الجرائم التي ارتكبتها في حق بعض قادة الثورة ورجالاتها ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ما حدث مع محمد العربي بن مهيدي، وكذلك مع المحامي علي بومنجل الذي أعلن أنه انتحر يوم 25 مارس 1957.

وتذكر الجريدة في المقال نفسه أن أحد المحامين الذين تولوا الدفاع عن عيسات ايدير تمكن من الاتصال به فتبين له أنه "لم يحاول الانتحار أبدا، وكان ذلك بمحضر ضابط فرنسي وحارس مسلح، وكانت برجله حروق خطيرة"، لأن الذي حدث في حقيقة الأمر هو أن عيسات ايدير تعرض إلى عمليات تعذيب وحشية بنافثات اللهب (Chalimeau) من طرف جنود المظلات.

ونبهت الجريدة الرأي العام المحلي والدولي، إلى الوضعية الخطيرة التي أصبح يعيش فيها عيسات ايدير، وأن حياته أصبحت مهددة بشكل مباشرة، لهذا نجدها توجه نداء صريحا لجميع

عمال العالم للوقوف كرجل واحد من أجل انقاذ حياته "أيها العامل في جميع أنحاء العالم إن أحد زملائكم، عيسات ايدير يعذب بين يدي جنود المظلات الفرنسيين وذلك بعد خمسة أشهر من صدور الحكم ببراءته من طرف المحكمة الفرنسية، لا تنسوا أنه بفضل اندفاعكم التضامني الرائع، حكم بالبراءة على عيسات ايدير يوم 13 كانون الثاني (جانفي) الماضي، واليوم يهدده خطر جديد في كل لحظة وهو خطر الموت".

وفي آخر المقال تشير جريدة (الطليعة) إلى أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين أصدر نداء حارا إلى كل الاتحادات المركزية النقابية وإلى عمال العالم كله، وإلى المنظمات الوطنية والدولية من أجل القيام بحملة واسعة لإنقاذ حياة عيسات ايدير. ولقد ذكرت الجريدة الخطوات الأساسية التي يجب اتباعها لإظهار التضامن الدولي مع عيسات ايدير وتتمثل في النقاط التالية:

– حركة فعالة يقوم بها العمال في العالم للمطالبة بإطلاق سراح عيسات ايدير حالا وكل المناضلين والمسؤولين النقابيين الموقوفين في الجزائر وفي فرنسا.

– إرسال برقيات ورسائل احتجاج إلى رئيس الجمهورية الفرنسية الجنرال ديغول ورئيس الحكومة الفرنسية ووزير العدل الفرنسي.

– بمظاهرات واجتماعات ولوائح توجه إلى القادة الفرنسيين وإلى مختلف السفارات الفرنسية، والتشهير بسياسة الحرب الإبادية التي تقوم بها الحكومة الفرنسية.

– استنكار الحرب الاستعمارية المفروضة على الشعب، وعلى العمال الجزائريين، والتي كان من نتائجها القمع الأعمى المسلط على جميع الجزائريين في الجزائر وفرنسا، والقضاء على جميع الحريات النقابية والديمقراطية وانتهاك ميثاق حقوق الإنسان ودوس الكرامة الإنسانية.

إلا أن كل هذا لم يجد نفعا، ولم يحقق أي شيء يذكر لأن السلطات الاستعمارية الفرنسية قامت يوم 26 جويلية 1959 باغتيال النقابي عيسات ايدير، ولقد خصصت الجريدة لهذا الحدث صفحة كاملة وهي الصفحة الثانية وربع صفحة من الصفحة السابعة، حيث نشرت مقالا مطولا بعنوان "السلطات الفرنسية تقتل الزعيم النقابي الجزائري عيسات ايدير" [8]، هذا الزعيم الذي قتله في سجنه جنود الجمهورية الخامسة على حسب تعبير الجريدة التي كتبت تقول "إن الاستعماريون الفرنسيون ألفوا هذا النوع من الغدر واعتادوا أن يفتكوا بأرواح الأبرياء من

المسجونين السياسيين، والأسرى لا يحل في شريعة أو قانون أن يلاقوا القتل والتعذيب، وهم في غير ساحة الحرب عزل من السلاح وبين الأسوار السجون وخلف الأسلاك".

وتؤكد الجريدة أن السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر قد وصلت إلى أعلى مراحل التوحش والهمجية، وأنهم تجاوزوا في ذلك تصرفات الفاشيين، لهذا فإنه أصبح من غير المجدي "أمام هذه المأساة الفضيعة والجريمة المقترفة لا نناشد المسؤولين بفرنسا، أو تستجدي ضمائرهم أن يكفوا عن مثل هذه الأعمال، لأنهم قد تجردوا من كل خلق شريف، فلن تستطيع أن تقنع العاهرة بمثل الفضيلة، أو تتحدث للسفاحين عن مكارم الأخلاق".

وختمت الجريدة مقالها بالقول أن "استشهاد عيسات ايدير في ميدان البطولة سيؤتي أكله المثمر، ويعود بالخيبة المرة على القتلة السفاكين، وسيتم استكمال تحرير الشمال الافريقي بتحرير الجزائر، أما وسائل القمع فإنها لن تفت في عضد المكافحين مهما بلغت".

وقامت الجريدة [9] بنشر مجموعة من البرقيات التي قام السيد محجوب بن الصديق [10] بإرسالها إلى مختلف النقابات والهيئات الدولية بشأن هذا الحدث، وكانت البرقية الأولى هي برقية تعزية وتضامن إلى الاتحاد العام للعمال الجزائريين والتي جاء فيها "لقد تلقت الطبقة العاملة المغربية بكثير من الامتعاض اغتيال الرفيق عيسات ايدير، وهي تطلب منكم تبليغ العمال الجزائريين تعزيها وتضامنها وقد أخبرنا المنظمات الدولية والافريقية والعربية وسننظم حملة احتجاجية، وستقام مهرجانات يوم الأحد 2 غشت (أوت) 1959".

ومن بين الرسائل الأخرى التي أرسلها السيد المحجوب بن الصديق نذكر تلك التي أرسلها إلى هيئة الأمم المتحدة والتي جاء فيها "إن العمال المغاربة إذ يستنكرون اغتيال المسير النقابي الجزائري عيسات ايدير يطالبون من هيئة الأمم المتحدة أن تجعل حدا للحرب الجائرة التي يخوضها الاستعمار الفرنسي ضد شعب يكافح من أجل استقلاله الوطني". كما راسل أيضا المكتب الدولي للشغل، حيث جاء في الرسالة "إن العمال المغاربة يعبرون عن حسرتهم العميقة أمام الاغتيال الغادر الذي ذهب ضحيته المسير النقابي الجزائري عيسات ايدير ويطلبون منكم أن تستنكروا لدى الرأي العام الدولي الجريمة الاستعمارية الجديدة".

الخاتمة:

إن أبرز ما يمكن لنا استخلاصه من كل هذا أن اهتمام جريدة الطليعة المغربية بهذه القضية وغيرها من قضايا وأحداث الثورة التحريرية دليل على مدى التضامن المغربي الواسع مع الثورة الجزائرية، إذ وجدنا الجريدة تدافع عن عيسات إيدير الجزائري كأنه نقابي مغربي تعرض للتعذيب والاغتيال.

الهوامش:

1. للمزيد من المعلومات عن هذه الجريدة أنظر دراسة إدريس الكنبوري "صفحات من تأريخ الصحافة المغربية (الطليعة) الجريدة التي عكست الصراع بين السلطة والطبقة العاملة"، المنشورة في جريدة (المساء) المغربية في العدد الصادر يوم 24 جويلية 2010.
2. للمزيد من المعلومات عن عيسات إيدير أنظر:

- محمد عباس: كفاح الدم ... والقلم، (دار هومة للنشر، الجزائر، 2015) ص ص 23 – 29.
- معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة منتوري قسنطينة – الجزائر 2004)، ص 252 – 253.

- Fares Mohammed : Aissat Idir, Documents et témoignages sur le syndicalisme Algérien (ENAC Alger 1992).

3. كتبت الجريدة اسمه على النحو التالي (عيست إيدار).
4. جريدة الطليعة، العدد الصادر يوم 17 يوليوز (جويلية) 1959، ص 2 و3.
5. هو محتشد كان موجودا في سيدي بلعباس.
6. أنظر هامش رقم 11 من الصفحة 706 من كتاب:

Mohammed Harbi, Gilbert Meynier : Le FLN Documents et Histoire 1954 – 1962 (Casbah édition Alger 2004).

7. محمد عباس، مرجع سابق، ص 29.
8. جريدة الطليعة، العدد الصادر يوم 31 جويلية 1959.
9. جريدة الطليعة، العدد الصادر يوم 31 جويلية 1959، ص 2 وص 7.
10. عاش في الفترة ما بين 1922-2010 يعد أحد أبرز المؤسسين للإتحاد المغربي للشغل، والذي ظل على رأسه منذ تأسيسه إلى غاية وفاته في 17 سبتمبر 2010.